IUGJEPS
Vol 30, No 3, 2022, pp687-710

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2021-8-11)، تاريخ قبول النشر (2021-9-11)

الشبهات التي ظاهرها التعارض بموقف القرآن الكريم العقدي من أهل الكتاب عرض ونقد

اسم الباحث الأول: د. سلامة عوض الحصان [1] *

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول) كلية الشريعة- جامعة اليرموك - الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

Salama.hosan@yahoo.co

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.3/2022/22

الملخص:

تهدف هذه الدراسةُ إلى عرض الشبهات المعاصِرة التي ظاهرها التعارض حولَ موقف القرآن الكريم العقدي من أهل الكتاب، ومناقشة هذه الشبهات وتوجيهها بأسلوب نقدي علمي، وبيان وجه الصواب في ذلك.

وقد اتَّبَعَ الباحث لتحقيق ذلك كلاًّ من (المنهج الاستقرائي) لجمع هذه الإشكالات المُثارة، و(المنهج التحليلي) لتفنيدِها وردِّها والتوفيق بينَ معاني الآيات الكريمة، و(المنهج الاستنباطي) لاستنباط الدلالات المتعدِّدة في الآيات، التي من شأنُها دَفْعُ كُلِّ تعارُضٍ وتناقُض.

وقد توصَّلَ الباحث إلى عدَّةِ نتائج، منها: لا تعارض في القرآن في وصفه لأهل الكتاب، بل الإشكالية هي أنهم يجعلون نظرة القرآن الكريم لأهل الكتاب نظرة واحدة، هي محل حكم القرآن حكمًا واحدًا، لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان والشخوص، والحق إن لأهل الكتاب أحوالاً مختلفة منها ما كان قبل بعثة النبي-ﷺ-، ومنها ما كان بعده، وبحسب هذه الأحوال كان يذم ويمدح.

كلمات مفتاحية: موقف ، القرآن ، أهل الكتاب ، الشبهات

The Suspicions that appeared to contradict the position of the Noble Qur'an towards the People of the Book –show and progress

Abstract:

This study aims to present the contemporary suspicions that appear to be contradictory about the creedal position of the Noble Qur'an towards the People of the Book, and to discuss and direct these suspicions in a critical and scientific manner, and to clarify the correctness of that.

To achieve this, the researcher has followed the (inductive approach) to collect these raised problems, the (analytical method) to refute and respond to them and reconcile the meanings of the noble verses, and the (deductive method) to elicit the multiple connotations in the verses, which would push back every contradiction.

The researcher has reached several results, including: There is no contradiction in the Qur'an in its description of the People of the Book, rather the problem is that they make the Holy Qur'an's view of the People of the Book one view, which is the subject of the rule of the Qur'an as a single rule that does not change and does not change with the change of time and persons, and the truth is for the People of the Book Various situations, including what was before the mission of the Prophet - PBUH, and what was after him, and according to these conditions he was vilified and praised.

Keywords: : position, Quran, People of the Book, suspicions

الشبهات التي ظاهرها التعارض بموقف القرآن الكريم العقدي من أهل الكتاب

مقدمة:

الحمد لله، الذي أنزل على عبده الكتاب ورفع عنه الشك والريب، فقال تعالى: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[البقرة:2]**، ونفى عنه الباطل فقال تعالى: **{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}[فصلت:42]**، ومع ذلك فقد تلقفه أهل الكتاب وبعض قاصري الفهم من المسلمين وغيرهم من اللادينيين بعقل عليل وفهم كليل كما تلقف أسلافهم التوراة والإنجيل، كما قال فيهم المولى عز وجل: **{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}[البقرة:78]**، فهم لا يعلمون ما أودع الله تعالى في التوراة التي أنزلها على موسى من الحدود والفرائض والأحكام، فهم في حالتهم هذه كالبهائم، وكل ما في جعبتهم هو التخرص والتقول على الله زورًا وكذبًا[(1)].

فإذا كان هذا حالهم مع التوراة والإنجيل، فكيف بهم مع القرآن الكريم؟ إن القرآن يجيب عن حالهم بعد أن جمع الله بالقرآن المؤمنين على الهدى، فقال تعالى: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...}[البقرة:109]**، يقول الزمخشري: " فإن قلت: بم تعلق قوله: مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بودّ، على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم، لا من قبل التدين والميل مع الحق، لأنهم ودّوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق، فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق؟ وإما أن يتعلق بحسدًا، أى حسدًا متبالغًا منبعثًا من أصل أنفسهم"[(2)].

ولقد تنوع التعبير عن هذا الود منذ بداية الدعوة إلى يومنا هذا، ففزعوا إلى الطعن في القرآن الكريم بمحاولاتٍ بائسة للنيل من قداسته، فزعموا أن القرآن الكريم في حديثه عن أهل الكتاب متناقضٌ، حيث يشهد لهم مرة بالأيمان، ومرة يصفهم بالكفر، ولكي تأخذ هذه المزاعم مأخذها في عقول المتلقين هرعوا إلى القرآن الكريم يبترون الآيات ويؤلونها التأويلات الفاسدة لتحقيق مآربهم.

لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان(**الشبهات المعاصرة التي ظاهرها التعارض بموقف القرآن الكريم العقدي من أهل الكتاب – عرض ونقد**) لتبين الشبهات التي أوردها مدعوها، ومناقشتها مناقشة علمية بالدليل من القرآن الكريم.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تتركز المشكلة الرئيسية لهذه الدراسة في استجلاء الشبهات المعاصرة التي تزعم بوجود التعارض بموقف القرآن الكريم من أهل الكتاب، ثم عرضها ونقدها والرد عليها.

وللوقوف على حقيقة المشكلة لا بدَّ من الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما الشبهات المعاصرة التي يزعم أهل الكتاب أن فيها تناقضًا حيال موقفه منهم؟
2- من هم أهل الكتاب الذين شهد لهم القرآن الكريم بالإيمان؟
3- هل أهل الكتاب الآن مؤمنون حسب شروط آيات [البقرة:62] و[المائدة:69] و[الحج:17]؟
4- هل أهل الكتاب ملزمون بعد بعثة النبي-ﷺ- بالإيمان به واتباعه؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- عرض وتبويب الشبهات المعاصرة التي يزعم أهل الكتاب أن فيها تناقضًا حيال موقفه منهم.
2- مناقشة هذه الشبهات وتوجيهها بأسلوب نقدي علمي، وبيان وجه الصواب في ذلك.
3- بيان أصناف أهل الكتاب وموقف القرآن الكريم منهم.

(1) ينظر- الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، (ج2، ص 259 -262).
(2) الزمخشري، **الكشاف** ، (ج1، ص176-177).

4- بيان شرط الإيمان حسب آيات [البقرة:62] و[المائدة:69] و[الحج:17].

5- بيان إلزام أهل الكتاب باتباع دعوة النبي-ﷺ- والإيمان بها.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة أن موضوع العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب (اليهود- النصارى) يشوبها المد والجز من خلال تباين نظرة كل منهما للآخر، فالقرآن في نظرته لأهل الكتاب قد فصَّل في أحوالهم وعلاقاتهم مع الدعوة إلى الله تعالى على لسان أنبيائهم- عليهم السلام-، وكذلك حالهم مع دعوة النبي-ﷺ-، فمدح وذم على حسب كل حال، بينما يخلط أهل الكتاب هذه الرؤية القرآنية لهم ويرون مرة أن القرآن يدعو إلى احتقارهم ونعتهم بعدم الإيمان ومرة يمدحهم وينعتهم بالمؤمنين، وقد وجدوا في أنفسهم في هذا المدخل الباب للطعن في قدسية القرآن الكريم .

من أجل ذلك جاءت هذه الدراسة لتعرض هذه الشبهات، وتناقشها مناقشة علمية ثم الرد عليها ونقضها بالدليل من القرآن الكريم، لتوقف هذه المزاعم المتكررة بأثوابٍ مختلفة.

حدود البحث

تعالج هذه الدراسة الشبهات المعاصرة المزعومة حول تناقض موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب في الكتب الآتية:

1- كتاب (المسيحية في الإسلام) القمص إبراهيم لوقا، الطبعة الخامسة- 1995م.

2- كتاب (الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم)، عبد المجيد صبح ، دار المنارة، - مصر ، الطبعة الثانية، 2003م.

ويأتي اختيار الكتاب الأول لما له من قيمة وأثر عند معتقديه وذلك لمكانة مؤلفه الدينية، أما الكتاب الثاني فتم اختياره لأن فيه من الرسائل التي وجهت لمؤلفه من نصارى الغرب، والتي تدور في هذا الفلك.

الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والبحث، تبين عدم وجود دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع، وجل ما ذكر فيها هو من كتب التي قام مؤلفوها بالرد على بعض الشبهات، ومن هذه الكتب:

1- كتاب (القرآن ونقض مطاعن الرهبان)، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى، 1428هـ- 2007م.

وتتفق هذه الدراسة مع دراستنا أنها تناولت الشبهة بإجمال دون التركيز على الآيات موضع الاستدلال، حيث أجابت باقتضاب عن آية المائدة: 69، وعن آية آل عمران :85، بواقع صفحة ونصف الصفحة .

وانفردت دراستنا بأنها تناولت الشبهة بدراسة الآيات موضع الاستدلال والرد على كل جزئية منها، حيث بينت: من هم أهل الكتاب الذين شهد لهم القرآن الكريم بالإيمان، وهل أهل الكتاب الآن مؤمنون حسب شروط آيات النجاة، وهل هم ملزمون بعد بعثة النبي-ﷺ- بالإيمان به واتباعه، ومن هم أهل الكتاب الذين شهد لهم القرآن الكريم بالإيمان.

منهجية الدراسة

اتبعت هذه الدراسة المناهج البحثية الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: ويتمثل في استقراء جميع الإشكالات المزعومة حول تناقض موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب في الكتب العلمية (المذكورة في حدود الدراسة)، وكذلك الآيات المتصلة بأهل الكتاب، ومن ثم الآيات التي كانت مثار الإشكال في هذه الكتب.

2- المنهج التحليلي: ويتمثل في دراسة الآيات ذات الصلة وتحليل معانيها من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي والسياقي للوصول إلى معانيها ومقاصدها، والتوفيق بين ما يتوهم تعارضه، ورد المزاعم الباطلة.

3- المنهج الاستنباطي: ويتمثل في استنباط الدلالات من الآيات لتجيب عن هذا التنوع في المواقف ودفع التعارض والتناقض.

4- المنهج النقدي: ويتمثل في عرض الإشكال وبيان مسوغاته، والردود التي أجابت عنه إن وجد، ونقدها، وبيان المقبول منها، وتوجيهه، والترجيح إن استوجب ذلك.

خطَّة البحث

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون على النحو الآتي:

مقدمة

المطلب الأول: الزعم أن القرآن يشهد بإيمان أهل الكتاب.

المطلب الثاني: الزعم بتناقض القرآن حول إيمان أهل الكتاب.

خاتمة: ذكرت فيها أهم نتائج البحث

يزعم أهل الكتاب أن القرآن الكريم في تناوله لعقيدة أهل الكتاب متناقض، فتارة يشهد لأهل الكتاب وبالإيمان، وتارة يعتبرهم غير مسلمين، ولإزالة هذا اللبس والرد على هذه الشبهة سنتناول الشبهات وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الزعم أن القرآن يشهد بإيمان أهل الكتاب.

يقول القمص لوقا: شهد القرآن للنصارى بالتوحيد والإيمان الحق، ففي [المائدة:69] يقول تعالى: **{إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}**، ويقول البيضاوي: {من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا }، من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ، مصدقًا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه.

ثم يقول: وبحكم هذه الآية وتفسيرها يكون المسيحيون – في نظر الإسلام – موحدين غير مشركين، محقين في إيمانهم غير ضالين، مؤمنين غير كافرين؛ لأن لهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، إن الآية بخروجها من التخصيص { الذين آمنوا والذين هادوا ...} إلى التعميم { من آمن بالله واليوم الآخر}، قد شملت بالأجر والثواب كل من عمل صالحًا من { الذين آمنوا بالله واليوم الآخر} دون شرط الإيمان بالإسلام ورسالته"[(1)].

رد الشبهة:

لا يخفى على الناظر في الشبهات التي يثيرها أهل الكتاب وأشياعهم من أهل الديانات واللادينيين أنهم يبنون شبهاتهم على المتشابهات من الآيات القرآنية، مبتعدين كل البعد عن المحكم منها الذي ينقض شبهاتهم، وما ذلك إلا لتمرير هذه الشبهات على قاصري النظر من المسلمين ومن أهل ديانتهم، ومن هذه الآيات ما يسميها البعض بآيات النجاة – نجاة أتباع الأديان في القرآن- وهي قوله تعالى:**{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }**[البقرة:62]، وقوله تعالى: **{إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}**[المائدة:69]، وهي مدار هذه الدراسة، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }[الحج:17].**

وسنناقش هذه الشبهة من خلال المحاور الآتية:

أولاً: من هم أهل الكتاب الذين شهد لهم القرآن الكريم بالإيمان؟

ثانيًا: هل أهل الكتاب الآن مؤمنون حسب شروط آيات النجاة؟

ثالثًا: هل أهل الكتاب ملزمون بعد بعثة النبي-ﷺ- بالإيمان به واتباعه؟

أولاً: من هم أهل الكتاب الذين شهد لهم القرآن الكريم بالإيمان؟

---

(1) لوقا، **الإسلام في المسيحية** ، (ص 9).

مدار هذه الشبهة هو ما جاء في الآيتين من سورة البقرة والمائدة ما يثبت أن القرآن الكريم نفى الخوف والحزن يوم القيامة عن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى، ومعنى هذا أنه ينفي عنهم الخلود في النار، ويشهد لهم بالإيمان.

والمستقرئ لآيات القرآن الكريم في حديثه عن أهل الكتاب يرى أن الله تعالى لم يجعل أهل الكتاب في حديثه عنهم على مستوٍ واحد، بل نوّع في ذكر صفاتهم ومآلهم على حسب أحوالهم مع أنبيائهم في قبول الدعوة إلى الله أو إنكارها.

ولعل الإشكال القائم في معرفة تحديد من هم أهل الكتاب الناجين من الخوف والحزن يوم القيامة، هو عطفهم في الآية على (الذين آمنوا)، فظن ظانٌ أن اقتران أهل الكتاب مع الذين آمنوا على اعتبار أنهم المؤمنون من أمة محمد-ﷺ- هو دليل قاطع على إيمانهم ونجاتهم يوم القيامة دون أن يؤمنوا بنبي الإسلام ورسالته.

وقد تأول أهل العلم المعنى المراد بـ (الذين آمنوا) على عدة أقوال أبرزها:

القول الأول: هم أهل الإسلام الذين صدقوا الله ورسوله، قاله الطبري[1]، وابن عطية[2]، وقد أجاب أصحاب هذا القول على من رده بأن الله تعالى لم يذكر الإيمان بالنبي-ﷺ- كشرط لصحة الإيمان من قبل اليهود والنصارى والصابئين، بأنه "لما ذكر الإيمان بالله تعالى فقد دخل فيه الإيمان بالنبي محمد-ﷺ-، لأنه لا يكون مؤمنًا بالله تعالى ما لم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى على محمد وعلى جميع الأنبياء- عليهم الصلاة السلام-، فكأنه قال: من آمن بالله وبما أنزل على جميع أنبيائه وصدق باليوم الآخر وعمل صالحًا أي أدى الفرائض، فلهم أجرهم عند ربهم"[3]، وهذا القول يخالف سياق الآيات التي تتحدث بجملتها عن بني إسرائيل وأحوالهم.

القول الثاني: هم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بالنبي-ﷺ-[4]، وهذا الرأي وجيه إذا كان المانع من عدم إيمانهم بالنبي-ﷺ- هو عدم إدراكهم أو بلوغهم دعوة النبي-ﷺ-، وماتوا على الإيمان قبل مبعثه.

القول الثالث: هم أهل الحنيفية ممن لم يلحق محمدًا-ﷺ-، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل[5]، وقد يدخل هذا الصنف من ضمن الذين آمنوا بالأنبياء قبل مبعث النبي-ﷺ- من غير تخصيصه بهم.

القول الرابع: هم المنافقون، وهذا لا يتسق مع أسلوب القرآن في مخاطبة الذين آمنوا "فقد درج القرآن على مخاطبة الذين آمنوا بنبوة محمد-ﷺ- ورسالته بالإيمان والعمل الصالح في العديد من الآيات كما هو في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله } [النساء:136]"[6].

القول الخامس: هم قوم كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يبعث محمد-ﷺ-، قاله ابن عباس[7]، وهذا القول يدخل ضمنًا في الذين آمنوا بالأنبياء من قبل ولم يدركوا بعثة النبي-ﷺ-[8].

القول السادس: هم أصحاب سلمان الفارسي من الرهبان الذين أرشدوه في طريق البحث عن حقيقة الإيمان، واستدل أصحاب هذا الرأي بحديث عبد الله بن كثير، عن مجاهد قال: لما قص سلمان على النبي-ﷺ- قصة أصحاب الدير قال: "هم في النار، قال

---

(1) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (ج10، ص476).
(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ج1، ص156).
(3) السمرقندي، **بحر العلوم** ، (ج1، ص59).
(4) ينظر- الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ص110). وينظر- المحلي، السيوطي، **تفسير الجلالين**، (ص14).
(5) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ج1، ص156).
(6) ابن عطية، ، المصدر ذاته، (ج1، ص156).
(7) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (ج1، ص72).
(8) الحافي، **نجاة أتباع الأديان في القرآن**، بحث محكم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، (مجلد 14، العدد1، 1439هـ-2018م، ص132).

سلمان: فأظلمت علي الأرض فنزلت: {إن الذين آمنوا والذين هادوا} إلى قوله: {يحزنون} قال: فكأنما كشف عني جبل[1]، وهذا القول يدخل في ضمن القول الخامس في الذين آمنوا بعيسى قبل مبعث النبي-ﷺ-.

والذي يترجح من السياق الذي جاءت به هذه الآيات التي تحدثت عن طوائف بني إسرائيل، التي ذكرها الله تعالى بمساوئ الصفات، قال المراغي: "بعد أن أنحى باللائمة على اليهود في الآيات السالفة، وبيّن ما حاق بهم من الذل والمسكنة، وما نالهم من غضب الله جزاء ما اجترحوه من السيئات من كُفرٍ بآيات الله، وقتل للنبيين، وعصيان لأوامر الدين، وترك لحدوده، ومخالفة لشرائعه، ذكر هنا حال المستمسكين بحبل الدين المتين من كل أمة وكل شعب ممن اهتدى بهدي نبيٍ سابق، وانتسب إلى شريعة من الشرائع الماضية، وصدق في الإيمان بالله واليوم الآخر "[2].

والترتيب الحاصل بين هذه الطوائف في هذه الآية الكريمة بعد أن ذكر الله تعالى بني إسرائيل بما ذكر من صفات الذم التي امتاز بها أكثرهم، إنما جاءت لبيان أن من هذه الأمة- بني إسرائيل- من آمن بالله واليوم الآخر وبما أنزل إليهم من ربهم وجاء به رسلهم، وهذه عادة القرآن في بيان موقف الفرقاء من الدعوة إليه وعدم غمط المؤمنين حقهم، ثم لإزالة اللبس المتوهم بأن الأولين والآخرين من بني إسرائيل سواء في إنكارهم الدعوة وتكذيبهم الأنبياء وقتلهم، فجاءت هذه الآية الكريمة "وذلك والله أعلم – أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضا ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم، ذكر تعالى حكمًا عامًا يشمل الطوائف كلها، ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال"[3]، لتضع بين أيدينا نظام العدل الإلهي في هذه الطوائف المتباينة من بني إسرائيل، فجعل معيار النجاة لهم هو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات.

ولا إمكان هنا للزج بالذين آمنوا من أمة الإسلام بين هذه الطوائف، لعدم تساوقها مع السياق، فسياق الآيات هنا التحدث عن بني إسرائيل وطوائفها، فكان منها الذين آمنوا، وهم "قوم كانوا مؤمنين بموسى والتوراة ولم يتهودوا ولم يتنصروا، والنصارى: الذين تركوا دين عيسى وتسموا بالنصرانية، واليهود الذين تركوا دين موسى وتسموا باليهودية، والصابئين: هم قوم من النصارى ألين قولا منهم"[4]، فالسياق يحكم بأن الآية الكريمة مخصوصة بالذين آمنوا وادعو الإيمان قبل مبعث النبي-ﷺ-.

وهذا ما رجحه السعدي- رحمهما الله – قال السعدي: "والصحيح إن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد-ﷺ- وأن هذا مضمون أحوالهم، وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء"[5]، وهذا ما أكدته آيات كثيرة في القرآن الكريم، حيث وصفت طوائف من بني إسرائيل بالإيمان، قال تعالى: **{ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} [الأعراف: 159]**، وقوله تعالى: **{ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } [الصف:14].**

وقد طرأ على إيمان الذين آمنوا من بني إسرائيل والذين هادوا والذين قالوا إنا نصارى، وكذلك الصابئين كثير من المخالفات، فقد ادعى الذين هادوا أنهم أولياء لله، ثم هم يحرفون الكلم عن مواضعه، قال تعالى: **{مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً } [النساء:46]**، ويدعون أنهم أبناء لله:**{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ**

---

(1) الواحدي، **أسباب النزول**، (ص24). قال الواحدي: صححه الحافظ ابن حجر في "العجاب" (ورقة 11 أ) ولعله لتعدد طرقه، وإلا فإن فيه تدليس ابن جريج وقد عنعن.

(2) المراغي، ، **تفسير المراغي**، (ج1، ص133).

(3) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص54).

(4) السمرقندي، **بحر العلوم**، (ج1، ص59).

(5) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (ص54).

أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...} [المائدة:18]، ثم هم يقولون: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة:30]**.

ومع هذا الانحراف والتبديل من الأكثرية الغالبة من بني إسرائيل، إلا أن الله تعالى أراد أن لا يغمط القلة القليلة المؤمنة فجعل بين الفريقين حاجزًا يُعرف به المؤمن من الكافر، إذ بيَّن أن الإيمان الحقيقي المنجي من النار هو الإيمان المبني على الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات، لا ادعاء الإيمان باللسان، كما زعمه كثيرٌ من بني إسرائيل، لذلك جاء التقييد بقوله تعالى:{من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا} .

فهذه الآية بحديثها عن الطوائف الأربعة إنما عنت بهم الذين كانوا على شريعة أنبيائهم من غير تبديل ولا تحريف، وقبل نسخها، وقد جرى هذا الوصف لهم مجرى وصفهم في قوله تعالى: **{ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون(113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين} [آل عمران:113-114]**، وهذا يتناول "من كان متصفًا منهم بهذا قبل النسخ، فإنهم كانوا على الدين الحق الذي لم يبدل ولم ينسخ كما قال في الأعراف: **{ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} [الأعراف: 159]**، وقوله: **{وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون} [الأعراف: 168]**... فهذا خبر من الله عمن كان متصفًا بهذا الوصف قبل مبعث محمد-ﷺ- ومن أدرك من هؤلاء محمدًا-ﷺ- فآمن به كان له أجره مرتين"(1).

إذن فالراجح من سياق الآيات أن المقصود بالذين آمنوا هم الذين آمنوا من بني إسرائيل من غير أن يتهودوا أو يتنصروا، والمقصود بالذين هادوا هم الذين اتبعوا شريعة موسى-عليه السلام- من غير تحريف قبل أن تنسخ، والمقصود بالنصارى هم الذين اتبعوا شريعة عيسى-عليه السلام- من غير تحريف ولا تبديل قبل أن تنسخ، والمقصود بالصابئين هم الذين لم تبلغهم دعوة موسى وعيسى -عليهما السلام - فبقوا على الحنيفية، وخرج من ذلك كل من أحدث في الشرط المقيد للنجاة في الآية الكريمة.

ثانيًا: هل أهل الكتاب الآن مؤمنون حسب شرط آية[البقرة:62]: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}، وآية [المائدة:69]:{إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}؟

قيدت الآية الكريمة من سورة المائدة وكذلك سورة البقرة نجاة الأصناف الأربعة من بني إسرائيل بثلاثة قيود، الأول: الإيمان بالله تعالى، والثاني: الإيمان باليوم الآخر، الثالث: عمل الصالحات.

وإذا أردنا أن نتبين صدق القوم بادعائهم شهادة القرآن لهم بالإيمان والنجاة من النار، فلابد من مراعاة حالهم بالنسبة لهذه الشروط، فهل حقق أهل الكتاب هذه الشروط لنشهد لهم بالإيمان، بعيدًا عن شرط الإيمان بنبوة النبي-ﷺ- وصدق ما جاء به واتباعه؟

أما بالنسبة للإيمان بالله، وهو الاعتقاد بوحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فقد أحدث اليهود والنصارى في عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى وعيسى-عليهما السلام-، ورأينا كيف أن التوراة والإنجيل على الرغم من تحريفهما إلا أن دلائل التوحيد الحق ما زالت ماثلة فيها، والعجب كل العجب أن شرَّاح التوراة والإنجيل قد فسروها تفسيرًا يخالف المعنى المراد من الألفاظ ، ويخالف نظمها وسياقها، ليطمسوا معالم الحق الواضحة فيهما.

فقد زعم اليهود أن لله الولد، فقالوا: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ} [التوبة:30]**، ووصفوا الله تعالى بالبخل **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة:64]**، والنصارى فعلت أكثر من ذلك، فقد جعلوا المسيح ابنًا لله تعالى -عليه السلام- قال تعالى: **{وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ...} [التوبة:30]**، وقالوا بألوهية المسيح، قال تعالى: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } [المائدة:72]**، وقالوا بالتثليث، قال تعالى: **{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ**

---

(1) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، (ج2، ص212-213).

الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المائدة:73]، واتخذوا أحبارهم أربابًا من دون الله، قال تعالى: **{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [التوبة:31]**.

وقد جاءت الآيات الصريحة التي تُكفِّر من زعم أن لله الولد، أو زعم أن الله هو المسيح ابن مريم، فقال تعالى: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } [المائدة:72]**، والذين قالوا بالتثليث في الألوهية، فقال تعالى: **{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المائدة:73]**.

ولا أعلم أحدًا من النصارى في وقتنا هذا لا يقول بالتثليث، بل ما يثبته النصارى أن التثليث هو ركن عقيدتهم ومن لم يقل به منهم فلا يعد نصرانيًا، لذلك "فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله، ولا باليوم الآخر وعمل صالحًا، كما قال – تعالى –: **{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} [التوبة: 29]**، وقد تقدم أنه كفَّر أهل الكتاب الذين بدلوا دين موسى والمسيح، وكذبوا بالمسيح أو بمحمد–ﷺ– في غير موضع، وتلك آيات صريحة، ونصوص كثيرة، وهذا متواتر معلوم بالاضطرار من دين محمد –ﷺ–"[(1)]، فهل بعد ذلك يقال إن أهل الكتاب موحدون ناجون من النار؟

ثالثًا: هل أهل الكتاب ملزمون بعد بعثة النبي–ﷺ– بالإيمان به واتباعه؟

مما لا شك فيه أن النبي–ﷺ– هو خاتم الأنبياء والرسل، قال تعالى: **{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً } [الأحزاب:40]**، وأن رسالته هي خاتمة الرسالات، وأن دعوته عامة لكل الناس، لقوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سبأ:28]**، وأنه مأمور بتبليغ رسالة ربه إلى الخلق أجمعين، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [المائدة:67]**.

ولا شك أيضًا أن حال أهل الكتاب بالنسبة لدعوة النبي–ﷺ– قد تفاوتت بين مصدق ومكذب، وبين جاهلٍ إمَّا لأنه لم تصله دعوة النبي–ﷺ–، وإمَّا لأن هذه الدعوة وصلته ليست كما هي، بل وصلته خالية من القيم الإيمانية والإنسانية، كما يصورها الإعلام الغربي السياسي والديني.

وكما هم في الحال مختلفون كذلك هم في الحكم، فلكل فرقة منهم الحكم الخاص بها، وسنذكرها بعد أن نبين أن أهل الكتاب ملزمون بدعوة النبي–ﷺ–، لذلك نرى القرآن الكريم يجعلهم نوعين، قال تعالى: **{ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون} [آل عمران: 110]**، فالقرآن بيَّن حالهم بالنسبة للإيمان بالله تعالى، فجعلهم نوعين: "نوعًا مؤمنين، ونوعًا فاسقين وهم أكثرهم وقوله تعالى: {منهم المؤمنون} يتناول من كان منهم مؤمنًا قبل مبعث محمد–ﷺ– كما يتناولهم قوله تعالى: **{وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة} [الحديد:27]**، إلى قوله: {وكثير منهم فاسقون}، وكذلك قوله تعالى: **{ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون} [الحديد:26]**"[(2)].

ومن الآيات التي تدل على أن النبي–ﷺ– معروفٌ لدى أهل الكتاب بصفته ولزوم دعوته مما عرفوا من التوراة والإنجيل الغير محرفة قوله تعالى: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الأعراف:157]**.

---

(1) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، (ج3، ص124–125).

(2) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، (ج2، ص211–212).

وذكر القرآن الكريم كثيرًا من الآيات التي تصرح بوجوب إيمان أهل الكتاب بدعوة النبي-ﷺ- منها قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [النساء:47]**، وهذا أمرٌ صريح لأهل الكتاب، أي "صدّقوا بما نزلنا إلى محمد من الفرقان مصدقًا لما معكم، يعني: محقِّقًا للذي معكم من التوراة التي أنزلتها إلى موسى بن عمران، من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها"(1).

ومما يلزم أهل الكتاب بقبول دعوة النبي-ﷺ- واتباعه، هو البيان الذي أفرده للرد على أهل الكتاب عندما زعموا أن الهدى لا يكون إلا باتباع اليهودية أو النصرانية، قال تعالى: **{وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا} [البقرة: 135]**، فكان الرد من الله تعالى: **{ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**، روى ابن عباس أنها "نزلت في رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وأبي ياسر ابن أخطب؛ وفي نصارى أهل نجران؛ وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك ودعوهم إلى دينهم"(2).

فكان الرد الإلهي المفحم لدعواهم أن بيَّن الله تعالى الدين الحق الذي عليه المسلمون من أمة محمد-ﷺ-، من خلال إعلانهم عن مضمون هذه العقيدة ، فقال تعالى: **{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة: 136]**، فدعاهم إلى الإيمان بالله وبكل الأنبياء وما جاءوا به، فلسان حالهم يقول: "إنا نؤمن بجميع الأنبياء لأن جميعهم جاء بالإيمان بالله، فدين الله واحد وإن اختلفت الأحكام والشرائع، ولا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما تفعلون"(3).

وبعد هذا الإقرار بيَّن الحكم المترتب على قبول هذا الدين أو رفضه من قبل أهل الكتاب، فقال تعالى: **{فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة:137]**، ولما كان هذا التولي عن دعوة الإسلام شيء عظيم عبَّر عن حالهم بأنهم في (شقاق) لأن هذه اللفظة لا تكاد تقال "في العداوة على وجه الحق شقاق، لأن الشقاق في مخالفة عظيمة توقع صاحبها في عداوة الله وغضبه، وهذا وعيد لهم"(4).

ولكي يتم إيمان المؤمن فلا بد من أن يؤمن بجميع الأنبياء والرسل، وبما جاءوا به من الكتب، فلا يكون بهذا الاعتبار من آمن بنبيه وظهر له نبوة نبيٍ آخر ظهر عليه علامات النبوة وكفر به مؤمنًا، لأن جميع الرسل هم مبلغون عن الله تعالى رسالة التوحيد، ودل على هذا ما ورد في سبب نزول الآية الكريمة، فقد أورد الواحدي عن الكلبي في سبب نزول قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } [النساء:136]**، أنه قال: "نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(5).

ونلحظ أن القرآن الكريم كثير ما يكرر تقرير عقيدة المسلمين بالتذكير بما أنزل إليك- القرآن الكريم- وما أنزل إليهم- التوراة والإنجيل- ، وذلك لأن "إلههم وربهم هو إله الكتابيين وربهم أيضًا، وأمر النبي والمسلمين بإعلان ذلك في السور المكية وفي أوائل هذه السورة،

(1) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (ج8، ص440).
(2) الواحدي، **أسباب النزول**، (ج1، ص215).
(3) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (ص41).
(4) أبو حيَّان، **البحر المحيط**، (ج1، ص654).
(5) الواحدي، **أسباب النزول**، (ص186).

حيث يبدو أن حكمة التنزيل اقتضت تكرار ذلك في معرض محاجة اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الانضواء للدعوة المحمدية، ولا سيما أن ذلك قد تكرر في العهد المدني كما كان شأن ذلك في العهد المكي وخطورة ذلك واضحة في معرض الدعوة"[1]، وليس هذا كما يعتقد أهل الكتاب من قبيل تقرير صحة عقيدة أهل الكتاب والعمل بها بعد بعثة النبي-ﷺ-، بل هو حث أهل الكتاب للانضواء تحت راية الإسلام، تصديقًا وعملاً.

وقد صرَّح القرآن الكريم أن النبي-ﷺ- أرسل إلى بني إسرائيل كما أرسل إلى العرب والناس أجمعين، قال تعالى: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة:19]**، حيث عبَّر هنا بدعوته إليهم بالمجيء إليهم بواسطة ضمير الوصل العائد إليهم، وذلك بعد انقطاع الرسل عنهم "ليذكرهم بأن كتبهم مصرحة بمجيء رسول عقب رسلهم، وليريهم أن مجيئه لم يكن بدعًا من الرسل إذ كانوا يجيئون على فتر بينهم"[2]، وقد ذكر علة هذا المجيء أنه ليقطع عليهم الحجة فيما أحدثوه من العقائد الباطلة أنه لم يأتهم نذير.

ومن الأدلة على أن أهل الكتاب ملزمون باتباع دعوة النبي-ﷺ- قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ } [المائدة:66]**، ففي قوله: {وما أنزل إليهم من ربهم} قولان: الأول: القرآن الكريم، وعليه يكون إيراده بهذا المعنى تصريحًا بوجوب اتباعه لنزوله عليهم، وإبطال دعواهم أن القرآن نزل للعرب خاصة، والقول الثاني: المراد به ما أنزل إليهم من كتب غير التوراة والإنجيل مثل كتاب إشعياء ودانيال وغيرها مما كانت مليئة بالبشارات بمبعث النبي-ﷺ-[3]، وسواء كان المراد به القرآن الكريم أو كتب بني إسرائيل المبشرة بمبعث النبي-ﷺ- فحاصل الأمر هو الإيمان بالنبي-ﷺ- واتباعه.

وهناك إشارة أخرى للأمر بوجوب إقامة التوراة والإنجيل، وإقامة ما أنزل إليهم باعتبار المقصود منه هو القرآن الكريم "أنهم مخاطبون به، وأنه منزل إليهم مع غيرهم، وليسوا خارجين عن التكليف الذي دعا إليه"[4] وبأن الأمر هو إقامتها من أهل الكتاب كل في زمانه ، فمن كان في زمن موسى-عليه السلام- عليه أن يقيمها ويؤمن بما جاء فيها، وكذلك في زمن المسيح-عليه السلام- ومن جملة ما جاء فيهما هو مبعث نبيٍ في آخر الزمان، وقد عرف صفته عندهم في التوراة والإنجيل، وأما من أدرك دعوة النبي-عليه السلام- من أهل الكتاب فعليه أن يقيم ما جاء في التوراة والإنجيل المبشرة ببعثة النبي-ﷺ-، وكذلك "تصديقُهُم بما فيها، والعملُ بما هي متفقة فيه، وكل واحد منها في الحين الذي فرض العمل به"[5]، لأن القرآن الكريم والأصول من التوراة والإنجيل إنما خرجت من مشكاة واحدة لتقرير عقيدة واحدة وهي توحيد الله تعالى، قال تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }[النحل:36].**

ومنها أيضًا أن اليهود في المدينة كانوا عندما يتقاتلون مع العرب – قبل بعثة النبي-ﷺ- يتوعدونهم ببعثة نبيٍ آخر الزمان يؤمنون به ويقاتلون العرب معه قتل عاد وإرم، حيث روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: "إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله-ﷺ- أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به،

(1) الواحدي، المصدر السابق، (ص186).
(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج6، ص157).
(3) ينظر– أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، (ج3، ص60).
(4) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (ج5، ص2284).
(5) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (ج10، ص463).

فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل الآيات من البقرة: **{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة:89]**"(1).

ومن الدلائل على وجوب إيمان أهل الكتاب بدعوة النبي-ﷺ- وأنهم ملزمون باتباعها قوله تعالى: **{وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} [البقرة:41]**، وفي التعبير عن القرآن باسم الموصول إشارة إلى وجوب الإيمان به "كونه منزلاً من الله تعالى، وفي هذا من الحجة عليهم إذ أمروا بأن يؤمنوا بكل كتاب يثبت أنه منزل من الله، وكون هذا المنزل جاء مصدقًا لما في التوراة فيه دلالة على أنه من عند الله، وهذا تجييش لأهل العلم منهم، فهذا المنزل من الله، كما أن من دلائل صدقه إعجازه اللفظي في فصاحته وبلاغته، كذلك جعل الإعجاز المعنوي اشتماله على الهدى الذي هو شأن الكتب الإلهية، وهو علامة لكل ذي علم من أهل الأديان، ثم الإيمان بالقرآن يستلزم الإيمان بالذي جاء به وبالذي أنزله"(2)، لذلك لا يعتد بإيمان أهل الكتاب إن لم يؤمنوا ويتبعوا النبي-ﷺ-.

وكذلك تحقق الأوصاف التي وصف بها في التوراة والإنجيل على يدِ أهل العلم منهم، مما دعاهم إلى الإيمان به وتصديقه، قال الكلبي: "لما ظهر رسول الله-ﷺ- بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي-ﷺ- عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم، قالا: وأنت أحمد؟ قال: نعم، قالا: إنا نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال لهما رسول الله-ﷺ- سلاني، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فأنزل الله تعالى على نبيه: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم} فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله-ﷺ-"(3).

ومن الإشكالات التي تذرع بها أهل الكتاب ومن رأى من المسلمين أن الكتابي ليس ملزمًا باتباع دعوة النبي-ﷺ- حسب آية [البقرة:62]، أن شرط النجاة كان الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، ولم يتطرق إلى شرط الإيمان بالرسل، ولا يخفى على ذي لب أن الإيمان بالله واليوم الآخر وبيان الأعمال الصالحة لم يكن لولا أن الله أنزل الكتب وأرسل الرسل، لتقوم الحجة على من بلغته الدعوة من الناس، قال تعالى: **{رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً } [النساء:165]**.

ومن دقائق الاكتفاء بذكر الإيمان بالله والاعتناء بذكر الإيمان باليوم الآخر، ما يأتي:

1- لأن الإيمان بالله هو أساس الدعوة إلى الله تعالى، وأن "المقصد من الدين الذي جاء به جميع الرسل من عند الله هو الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات...، والرسل -عليهم الصلاة والسلام- هم الوسيلة لتعليم البشر هذه المقاصد"(4)، لذلك كان سببًا لمبعث الرسل، والغاية التي من أجلها خلق البشر.

2- لما كان أهل الكتاب قد أصاب عقيدتهم ما أصابها في إيمانها بالله تعالى، فعرَّض بهم هنا "بأن القوم لا يؤمنون بالله إيمانًا صحيحًا فأي حاجة إلى ذكر الإيمان بغيره، على أنه لو ذكر غير ذلك لكان المناسب أن يذكر الإيمان برسوله وهو محل خلاف بين الفريقين" (5).

(1) الوادعِيُّ، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، (ص21).

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج1، ص458).

(3) الواحدي، **أسباب النزول**، (ص99).

(4) رضا، **مجلة المنار**، (المجلد13، العدد8- شعبان1328هـ ، ص572).

(5) رضا، ***تفسير القرآن الحكيم***، (ج4، ص53).

3- لأن الإيمان بالله "هو لب الإيمان بكل أجزائه وعناصره،... وإن من يؤمن بالله ولا يؤمن بهذه العناصر كلها لَا يكون مؤمنًا بالله حق الإيمان، ولا مذعنًا لأحكامه حق الإذعان، ولذا كان أهل الكتاب الذين أعلنوا إيمانهم بالله، وأنكروا رسالة الرسول-ﷺ- مع قيام البينات عليها غير مؤمنين، وغير مذعنين للحق الذي ارتضاه الله"[(1)].

4- لأن الإيمان بالله لا يكون إلا بالإيمان بالنبوة" لأن الإيمان بالله لا يحصل إلا إذا حصل الإيمان بكونه صادقًا، والإيمان بكونه صادقًا لا يحصل إلا إذا كان الذي أظهر المعجز على وفق دعواه صادقًا لأن المعجز قائم مقام التصديق بالقول، فلما شاهدنا ظهور المعجز على وفق دعوى محمد-ﷺ- كان من ضرورة الإيمان بالله الإيمان بنبوته-ﷺ-، فكان الاقتصار على ذكر الإيمان بالله تنبيها على هذه الدقيقة"[(2)].

5- الإيمان باليوم الآخر تضمن الإيمان بالأنبياء لأن الأنبياء هم الذين أخبروا عن كينونة هذا اليوم، فصار الإيمان به واجبًا[(3)]ولأن اليوم الآخر من الأخبار الغيبية التي لا تعلم إلا بالنقل، فدل على أن الإيمان به مشتمل على الإيمان بالرسل.

ولا تغيب السنة النبوية الشريفة عن هذا المقام، كيف لا وهي الشارحة المبينة والمفصلة والمثبتة لما جاء في القرآن، فقد جاءت الأحاديث النبوية التي تؤكد أن أهل الكتاب ملزمون باتباع دعوة النبي-ﷺ-، فقد روى الإمام أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ-رضي الله عنه-، أَتَى النَّبِيَّ-ﷺ- بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ-ﷺ- فَغَضِبَ وَقَالَ: "أَمُتَهَوِّكُونَ[(4)] فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"[(5)]، ففي هذا الحديث دليل قاطع على وجوب اتباع أهل الكتاب للنبي-ﷺ- فإذا كان نبيٌ من أنبياء بني إسرائيل لو أدرك النبي-ﷺ- لاتبعه فمن بابٍ أولى أتباعه يتبعون النبي-ﷺ-.

وكذلك ما روى الشيخان عن أبي بردة عن النبي-ﷺ- قال: " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمة، فيعلمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران، ومؤمن أهل الكتاب، الذي كان مؤمنًا، ثم آمن بالنبي-ﷺ- فله أجران، والعبد الذي يؤدي حق الله، وينصح لسيده"[(6)]، وفي رواية مسلم: "رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ-ﷺ- فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ"[(7)]، ففي هذا الحديث يبين النبي-ﷺ- أفضلية الكتابي الذي أدرك نبيه وآمن به، ثم أدرك النبي-ﷺ- وآمن به على مؤمن أهل الكتاب الذي لم يدرك الإسلام، فإذا كان هذا حال المؤمن فكيف بمن كفر.

وكذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللهِ-ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"[(8)]، ففي هذا الحديث يقسم النبي-ﷺ- مصرحًا بكفر من بلغته دعوته ولم يؤمن بها من اليهود والنصارى.

---

(1) أبو زهرة، *زهرة التفاسير*، (ج3، ص1357).

(2) الرازي، *مفاتيح الغيب*، (ج8، ص326).

(3) ينظر – أبو حيَّان، *البحر المحيط*، (ج3، ص312).

(4) "ومُتَهَوِّك: مُتَحَيِّرٌ... مَعْنَاهُ أَمُتَحَيِّرونَ أَنْتُمْ فِي الإسلام حَتَّى تَأْخُذُوهُ مِنَ الْيَهُودِ؟" ابن منظور، لسان العرب، حرف الكاف، فصل الهاء، مادة(هوك)، ج10، ص508.

(5) ابن حنبل، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبدالله-رضي الله عنه-، (ج23، ص349، رقم: 15156). صححه الألباني . حسنه الألباني في *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*، كتاب الوقف، (ج6، ص34، رقم: 1589).

(6) البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب فضل الجهاد والسي، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، (ج4، ص60، رقم:3011).

(7) مسلم، *صحيح مسلم*، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، (ج1، ص134، رقم:154).

(8) مسلم، *صحيح مسلم* ، كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، (رقم:153 /ج1/ ص134).

أما من بلغته دعوة النبي-ﷺ- كما جاء بها بيضاء نقية منذ بعثته-ﷺ- إلى يوم الدين، مالم يرفع عنه العقل، من كتابي ولا وثني، ولا حي ذو روح، من جن ولا إنس إلا قامت عليه حجة الله عز وجل باتباع دينه، فمن اتبعه كان مؤمنًا، ومن ترك اتباعه كان كافرًا(1).

إذاً فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تؤكد على أن الإيمان هو ما كان وفق ميثاق الله الذي أخذه على أنبيائه من تصديق بعضهم بعضًا، لتبليغ دين الله إلى عباده، قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران:81]**، وألزم أهل الكتاب باتباع رسالة الإسلام والتصديق بها ونصرتها لا عداءها .

المطلب الثاني: الزعم بتناقض القرآن حول إيمان أهل الكتاب.

يقول عبد المجيد صبيح: "أنه عندما زار أمريكا عام 1997م، قدّم إلي الأخ الصديق القديم (حامد نبوي) صورة من أسئلة تحدى بها مرسلوها المسلمين، وكاتبوا هذه الأسئلة، المتحدون بها، جماعة من المبشرين في كندا، يرسلونها في تحدٍ سافر، ويطلبون الرد عليها، طلب تحدٍ وتعجيز، يظنون أنه لا جواب عنها.

ومن هذه الأسئلة قولهم: إن القرآن غير مستقر في وصف أهل الكتاب، ففي آية [آل عمران :110] سماهم، أو بعضهم مؤمنين، وفي آية [آل عمران : 85] {ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه }، وفي الوقت نفسه آية سورة [البقرة : 62] لم يشترط الإسلام"(2).

رد الشبهة:

إن مما يشكل على كثير من الناس وخاصة أهل الكتاب أنهم عندما يقرأون القرآن يعتقدون أنه مثل كتبهم المقدسة، يخلو من المعاني البلاغية، والوحدة الموضوعية، عداك عن عدم معرفتهم المنهجية الصحيحة في التعامل مع آي القرآن الكريم، فاجتزاء الآيات من سياقها ومن ثم تأويلها تأويلات لا تقوم على منهجية علمية، ذهب بهم كل مذهب في إخراج النص عن مراده، أو عن محاكاة الغاية التي من أجلها أنزل.

وفي معرض قراءتهم هنا لقوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران:110]**، وقوله تعالى: **{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:85]**، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة:62]**، تتجسد هذه الإشكالية في فصل كل آية من الآيات عن سياقها وجعلها في سياق واحد، وهذا مما يجعل القارئ لها يعتقد بأن القرآن الكريم يعارض بعضه بعضًا في هذه المسألة.

فهل حقًا أن القرآن الكريم عندما مدح قلة من أهل الكتاب وذم الأكثرين منهم، قد جمع بين المتناقضات؟ كلا، إن الإشكالية هي أنهم يجعلون نظرة القرآن الكريم لأهل الكتاب نظرة واحدة، هي محل حكم القرآن حكمًا واحدًا، لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان والشخوص، والحق إن لأهل الكتاب أحوالًا مختلفة منها ما كان قبل بعثة النبي-ﷺ-، ومنها ما كان بعده، وبحسب هذه الأحوال كان يذم ويمدح. أمّا التي كانت قبل البعثة فمنهم من آمن بموسى-عليه السلام- إلى أن جاء عيسى-عليه السلام- فآمن به وصدقه ومات على إيمانه قبل بعثة النبي-ﷺ- فذلك المؤمن، فقد وصف الله تعالى الذين آمنوا منهم بقوله: **{ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} [الأعراف: 159]**، "وهذا مدح مطلق لمن تمسك بالتوراة، ليس في ذلك مدح لمن كذب المسيح، ولا فيها مدح لمن كذب محمدًا -ﷺ-، وهذا

---

(1) ينظر- الشافعي، *الأم* ، دار المعرفة - بيروت، د.ط، سنة النشر 1410هـ-1990م ، (ج2/ ص266).

(2) صبح ، *الرد الجميل على المشككين في الإسلام* ، (ص 15).

الكلام يفسره سياق الكلام"(1)، ويؤيد ذلك ما ورد في سور الصف عندما سأل المسيح–ﷺ– الحواريين من أنصاره إلى الله، كان بيان القرآن الكريم لحال بني إسرائيل من مناصرة المسيح–ﷺ– بأنَ **{آَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ...} [الصف:14].**

ومنهم من آمن بموسى–ﷺ– وكفر بعيسى–ﷺ– بعد بعثته، فذلك الكافر، لأن الإيمان بالرسل هو العهد الذي أخذ الله تعالى على أتباع الأنبياء والرسل، قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[آل عمران:81]**، قال بعض أهل العلم: "إنما أخذ الميثاق على النبيين وأممهم، فاكتفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع"(2).

وأما أحوال أهل الكتاب بعد بعثة النبي–ﷺ– فتتلخص في ثلاث حالاتٍ منها اثنتان لخصهما قوله تعالى: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (112) لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران:112–113]**، فقد ذكرت الآية صنفين منهم وهما الذين كفروا وهم الغالبية الغالبة، والصنف الآخر وهم القائمون على أمر الله وهم القلة القليلة.

أما الصنف الثالث فقد افصح عنه قوله تعالى: **{ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ...} [الأنعام:19]**، فقوله :{ومن بلغ} أي: إنما بعثت لأبلغكم القرآن، وأنذركم من مخالفة أمره، وكذلك كل من بلغته دعوة القرآن في كل زمان ومكان سواء كان بالمشافهة أو السمع مني أم من غيري(3)، ودل عليه أيضًا قول النبي–ﷺ– "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"(4)، وعليه فقد خرج من هذا كل من لم يسمع بدعوة النبي–ﷺ–، أو لم تصله الدعوة سليمة صحيحة كما جاء بها النبي–ﷺ–، بل وصلته مشوهة مضللة، وهذا حال كثير من أهل الغرب الذين زوّر لهم الإعلام السياسي والديني حقائق الإسلام وألبسوه ثياب الإرهاب والعداء للإنسانية حتى أصبح ينُظر إلى الإسلام والمسلمين نظرة عدائية إقصائية.

أما الصنف الأول: وهم الذين كفروا بدعوة النبي–ﷺ– على اختلاف مذاهبهم، فمنهم من أنكر نبوة النبي–ﷺ– وأنكر القرآن الكريم بالكلية، ومنهم من اقتصر نبوة النبي ودعوته على العرب، فلما بعث النبي–ﷺ– وقد كانوا يستفتحون به على الذين كفروا من أهل المدينة، فلما عرفوه من صفاته التي ذكرت في التوراة والإنجيل حاق بأنفسهم أنه ليس من جنسهم فكفروا به، قال تعالى: **{وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة:89]**، وقال تعالى: **{وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } [البقرة:101].**

وهذا الإنكار والتكذيب له دواعيه في نفوسهم كما بينه قوله تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة:91}**، وقد تميز أهل الكتاب بتمييز جنسهم على الآخرين، واحتكار الحق والدين بما كانوا عليه، وظهر هذا من تناقضاتهم المعروفة، فمرة يقولون: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...} [المائدة:18]، ومرة يقولون: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ...} [البقرة: 111].**

---

(1) ابن تيمية، ***الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح***، (ج2/ ص210).

(2) ابن الجوزي، ***زاد المسير في علم التفسير***، (ج1/ ص299).

(3) ينظر– ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (ج7/ ص178).

(4) مسلم، ***صحيح مسلم***، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، (ج1/ ص134، رقم:153).

وأمَّا الصنف الثاني فهم الذين آمنوا من أهل الكتاب بدعوة النبي-ﷺ- واتبعوه وناصروه، ودل عليه قوله تعالى: **{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران:199]**، جاء في سبب نزول الآية الكريمة عن جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة: "أنها نزلت في النجاشي، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل-ﷺ- لرسول الله-ﷺ- في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله-ﷺ- لأصحابه: اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، فقالوا: ومن هو؟ فقال: النجاشي، فخرج رسول الله-ﷺ- إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لأصحابه: استغفروا له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"**(1)**.

أمَّا الصنف الثالث وهم الذين لم تبلغهم دعوة النبي-ﷺ- بعد مبعثه إلى يومنا هذا، أو من بلغته الدعوة لكن على غير الهدى الذي بُعث به النبي-ﷺ-، سواء كانت مشوهة بفعل فاعلٍ كما هو متعارف عليه الآن، وذلك من خلال شن الهجمات الإعلامية المضللة، والتي تصور الإسلام بصورة بشعة لا يجد الجاهل بحقيقة الإسلام بد من إنكارها بل ونبذها والنظر إليها كديانة متطرفة، أو من خلال بعض التصرفات والأخلاق المسيئة التي تصدر من بعض المسلمين وخاصة الذين يعيشون في كنف المجتمعات الغير مسلمة، فهؤلاء على ما كانوا عليه من ديانة، فإن كانوا ممن آمن بموسى وعيسى-عليهما السلام- فهم من مؤمني أهل الكتاب الذين امتدحهم الله، وأمَّا إن كانوا ممن كفروا بأنبيائهم فهم ممن ذمهم الله من أهل الكتاب، ويشترط لعد قيام الحجة على هذه الفئة عدم التمكن من العلم بدعوة النبي-ﷺ-، يقول ابن القيم: " فَإِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَامَتْ عَلَى الْعَبْدِ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ، وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ، وَبُلُوغِ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، سَوَاءً عَلِمَ أَمْ جَهِلَ، فَكُلُّ مَنْ تَمَكَّنَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، فَقَصَّرَ عَنْهُ وَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ"**(2)**.

وأما من بلغته دعوة النبي-ﷺ- كما جاء بها بيضاء نقية منذ بعثته-ﷺ- إلى يوم الدين، مالم يرفع عنه العقل، من كتابي ولا وثني، ولا حي ذو روح، من جن ولا إنس إلا قامت عليه حجة الله عز وجل باتباع دينه، فمن اتبعه كان مؤمنًا، ومن ترك اتباعه كان كافرًا**(3)**.

ووصف القرآن لأهل الكتاب مرة بالمؤمنين ومرة بالفاسقين، ليس من باب التشهي؛ بل من باب الحال التي ذكرناها وفصلها القرآن الكريم، وهذا يدل أن "منهاج القرآن هو العدالة في الحكم دائمًا، ولذا لم يصفهم كلهم بالفسق وإن كان قد عمهم، بل وصف بعضهم وإن كان الأكثر، ومثل ذلك قوله تعالى: (مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكثيرٌ منْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)"**(4)**، كذلك فيه لطيفة وهي أن القرآن الكريم بعد أن ذكر مساوئ أهل الكتاب حتى كأن هذه الأوصاف قد تناولتهم جميعًا، جاء بما رفع هذا التوهم بأن قال: {منهم المؤمنون}**(5)**، فالوصف بالإيمان لا يعم كل أهل الكتاب كما أن الوصف بالفسق لا يعمهم كلهم مع كونهم الغالبية العظمى منهم.

لذا فلا تعارض في القرآن في وصفه لأهل الكتاب، فالذين آمنوا بأنبيائهم قبل مبعث النبي وماتوا على ذلك، وكذلك الذين آمنوا منهم بالنبي-ﷺ- بعد مبعثه، هؤلاء هم الذين مدحهم الله تعالى بوصفهم بالإيمان، وفي القرآن شواهد كثيرة على ذلك منها: قوله تعالى: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف:157]**، وقوله تعالى: **{ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً (107) وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ**

---

(1) الواحدي، ***أسباب النزول***، (ص139-140).
(2) ابن القيم، ***مدارج السالكين***، (ج1/ص232).
(3) ينظر- الشافعي، ***الأم*** ، (ج2/ ص266).
(4) أبو زهرة، ***زهرة التفاسير***، (ج3/ ص1358-1359).
(5) ينظر- البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (ج5/ ص27).

خُشُوعاً} **[الإسراء:107-109]**، وقوله تعالى: **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}** **[القصص:52-55]**، وقوله تعالى: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}** **[المائدة:82-85]**.

وأمَّا الذين كفروا بأنبيائهم وماتوا على ذلك، والذين أدركوا بعثة النبي-ﷺ- وقد بلغتهم دعوة الإسلام ولم يؤمنوا فأولئك الذين ذمهم القرآن بوصفهم بالكفر والفسق والشرك، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** **[المائدة:86]**، وقال تعالى: **{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** **[المائدة:17]**، وقوله تعالى: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}** **[المائدة:72]**.

ولا تعارض أيضًا بين قوله تعالى: **{ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون}** **[آل عمران: 110]**، وقوله تعالى: **{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** **[آل عمران:85]**، لأن الإسلام الذي جاء به موسى وعيسى-عليهما السلام – هو نفسه الإسلام الذي جاء به محمد-ﷺ-، فمن لم يحقق شرط الإيمان قبل بعثة النبي-ﷺ- وهو الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات، وهذا يتضمن الإيمان بالرسل لأنهم هم الذين بينوا حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، فلن يقبل منه لأنه خالف الدين الحق الذي جاء به الأنبياء، فلا "يقبل من أحد طريقة ولا عملًا إلا ما كان موافقًا لشريعة محمد-ﷺ- بعد أن بعثه الله بما بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة "[(1)].

ومن خالف هذه الشروط بعد بعثة النبي-ﷺ- وأنكر نبوته، وكذب رسالته، ونقض الميثاق الذي أخذه الله تعالى على أنبيائهم وألزم به تابعيهم، فلن يقبل منه دعواه بالإيمان لأنه نقض عرى الإسلام، فهذه الآية جاءت "عطفًا على جملة {أفغير دين الله يبغون} وما بينهما اعتراض، وهذا تأييس لأهل الكتاب من النجاة في الآخرة، ورد لقولهم: نحن على ملة إبراهيم، فنحن ناجون على كل حال، والمعنى من يبتغ غير الإسلام بعد مجيء الإسلام"[(2)].

أمَّا فيما يخص أن القرآن في قوله: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[البقرة:62]** لم يشترط الإسلام، فهذا كلام باطل لأن ما قعدته هذه الآية – وقوله تعالى**{:إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}[المائدة:69]**، للنجاة هو الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات، وهذا هو الإسلام الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل، فنوح-عليه السلام- صرَّح بها جهارًا، قال الله تعالى على لسانه: **{فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }** **[يونس:72]**، وفي قوله {من المسلمين} دلالة على أن دين الله تعالى هو الإسلام من قبل أن يبعث نوح-عليه السلام-، وهو دين إبراهيم-عليه السلام- عندما تبين له برهان ربه، فما كان منه إلا أن إنقاد لأمر الله تعالى عندما أمره بالإسلام، قال تعالى: **{إِذْ قَالَ**

---

(1) ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (ج1/ ص285).

(2) ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، (ج3/ ص302-303).

لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة:131]، وهو الدين الذي أيقنت به ملكة سبأ فأقرت تائبة **{رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل:44]**.

ثم جاءت الحقيقة المطلقة التي تؤكد أن الدين عند الله ليس كما يدعي اليهود والنصارى بأن الهدى هو ما كانوا عليه، قال تعالى: **{وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[البقرة:135]**، ثم جعلوا دخول الجنة والنجاة من النار هو أن يعتقد الناس اعتقادهم، وهو المتعارف عليه من عقيدة الصلب والقتل وعقيدة التثليث، قال تعالى: **{ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة:111]**، ويبطل الله قولهم واعتقادهم بأن دين الله الذي قام عليه أمر السموات والأرض هو الإسلام، لا كما يدعون، قال تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران:19]**.

وإذا كانت مشكلة أهل الكتاب مع المسلمين في مسمى الدين الحق بالإسلام ويرونه هم أنه اليهودية والنصرانية، فخلافنا معهم " ليس اختلافا ناشئًا عن حقيقة هاتين الديانتين، وإنما جاء الخلاف نتيجة لما حدث فيهما من تبديل وتحريف، ولو أنهما سلما من هذا التحريف والتبديل لالتقيا مع الإسلام، ولكان أتباعهما من المسلمين"[(1)]، فدين الله واحد على جميع دعوة الأنبياء والمرسلين، ولكنهم جعلوا الدين يعرف بجنسٍ معين، فنقضوا عهودهم مع الله وحرفوا الكلم بما يخدم مصالحهم وجنسهم، فضلوا وأضلوا.

وإذا كان قصدهم من عدم اشتراط الآيات موضع الاستدلال ذكر الإسلام الذي يقصد به الإيمان بما جاء به النبي-ﷺ- على وجه التحديد، دون غيره من الرسل، فإن هذه الآيات قد ذكرت الأصناف الأربعة من بني إسرائيل، ولم يكن القصد منها تقرير إيمان هذه الأصناف الأربعة بعد بعثة النبي-ﷺ- حسب ما بيَّناه في المطلب السابق.

وأمَّا حقيقة اشتراط نجاة أهل الكتاب بعد بعثة النبي-ﷺ- بالإيمان بالنبي-ﷺ- وتصديقه واتباعه، فهذا مما تقرره الآيات الكثيرة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما جاء في الكتاب المقدس.

فقد ختم الله تعالى هذا الدين بالنبي-ﷺ- على ملة أبي الأنبياء إبراهيم-عليه السلام- ليكون النبي وهذه الأمة شهود الله تعالى على الناس في إذعانهم وانقيادهم له، فقال تعالى: **{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } [الحج:78]**، وهو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على النبيين أن يؤمنوا بالله تعالى ورسله ومن هؤلاء الرسل النبي-ﷺ-، قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران:81]**.

ولما كان هذا الميثاق يوجب على جميع الأنبياء حملة رسالة الإسلام إلى الناس جميعًا أن يؤمنوا بكل رسول ثبتت رسالته، أكد ثبوت رسالة النبي-ﷺ-، فقال: **{ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي} [آل عمران:81]**، وفي هذا الميثاق بشارة من الله تعالى بمجيء رسولٍ مصدقًا لما معهم، أوجب الله تعالى عليهم وعلى أممهم أن يؤمنوا به وينصرونه، وهذا النبي هو دعوة أبي الأنبياء إبراهيم إذ قال: **{ربنا وابعث فيهم رسولا منهم} [البقرة: 129]**، وقد جاء في سفر التثنية ما يؤكد هذه البشارة، قال موسى-عليه السلام-: "قال لي الرب أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به"[(2)]، ولا يخفى أن إخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولو كان المراد به نبيًا منهم لقال أقيم لهم نبيًا منهم، ولربما أن ترجمة هذا السفر قد أخفت ما في النص الأصلي من وضوح [(3)].

---

(1) الخطيب، *التفسير القرآني للقرآن*، (ج2/ ص515).

(2) سفر التثنية، *الإصحاح الثامن عشر*، (آية:18).

(3) ينظر- ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، (ج3/ ص298).

وقد أكد الله تعالى هذا الميثاق المتضمن الإيمان بالنبي-ﷺ- وتصديقه ونصرته بشهادته على شهادة الأنبياء وأممهم، ثم لعظم هذا الميثاق جعل من خرج من ربقته، وتولى عن الإيمان به فاسقٌ مرتد متمرد في كفره(1)، وفي وصف المتمردين على هذا الميثاق بالفاسقين، فيه إشارة إلى "أن دين الله واحد وأن دعاته متفقون متحدون، فمن تولى - بعد الميثاق على ذلك - عن هذه الوحدة واتخذ الدين آلة للتفريق والعدوان، ولم يؤمن بالنبي المتأخر المصدق لمن تقدمه ولم ينصره، كأولئك الذين كانوا يجحدون نبوة محمد-ﷺ- ويؤذونه فأولئك هم الفاسقون أي الخارجون من ميثاق الله الناقضون لعهده، وليسوا من دينه الحق في شيء، أقول: وهذا يؤكد أن الميثاق مأخوذ على الأمم"(2).

وبعد أن بعث الله تعالى النبي-ﷺ- أمره أن يقر بالإيمان الذي أخذ على الأنبياء من قبل، ليختم بهذا الإيمان الصورة المتكاملة لحقيقة الإسلام، قال تعالى: **{قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (84) ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين } [آل عمران:84-85]**، ولأن ما أنزل على النبي-ﷺ- القرآن الكريم- هو الأصل في معرفة ما أنزل على الذين من قبلنا، والمثبت له وخاصة اليهود والنصارى، فقد قدَّم الإيمان بما أنزل علينا على الإيمان بما أنزل إليهم، وفي هذا الإيمان التأكيد على أن أصل الدين الذي جاءوا به واحد، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، وفي هذا الإيمان ميزة امتاز بها أتباع النبي-ﷺ- عن اليهود والنصارى، بأن إيماننا كل لا يتجزأ، فنحن لا نفرق بين أحد من أنبياء الله ورسله، بل نؤمن بهم جميعًا بأنهم كانوا جميعًا على الحق، ولا خلاف بينهم في الأصول والمقاصد، بخلاف اليهود والنصارى الذين فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض(3)، ومن الذين كفروا به وناصبوه العداء النبي-ﷺ- بالرغم من ظهور المعجزات بين يديه، وبالرغم من تبشير التوراة والإنجيل به، وتحقق وصفه الذي وصف به في أصول كتبهم.

والقرآن إذ يبين حقيقة كفر من كفر بنبوة أي من الأنبياء الذين ظهرت عليهم معجزات النبوة، يرد على من قال بإيمان أهل الكتاب دون الالتفات إلى إيمانهم بدعوة النبي-ﷺ- واتباعه، قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا} [النساء:150-151]**، فهل بعد اطلاق الكفر بحق هؤلاء بهذه الصيغة القوية المليئة بالمؤكدات لتمكنهم في الكفر، سبيل للنقاش في هذه المسألة، وبعد أن عرفنا أن دلالة قوله تعالى: **{أولئك هم الكافرون حقا}**، أي "هم الكاملون في الكفر، وحقًّا تأكيد لمضمون الجملة... وهو كونهم كاملين في الكفر، أو هو صفة لمصدر الكافرين، أي هم الذين كفروا كفرًا حقًّا ثابتًا يقينًا لا شك فيه"(4).

وإذا كان الإيمان بالله هو أصل نجاة أهل الكتاب من النار كما في آية سورة[البقرة:62]، وآية سورة [المائدة:69]، فأهل الكتاب في يومنا هذا كفروا كفرًا بواحًا عندما أخلوا بعقيدة التوحيد التي جاء بها موسى وعيسى-عليهما السلام- والنبيون من قبل، فجعلوا مع الله الشريك في البنوة والتثليث؛ بل ذهبوا إلى أعظم من ذلك بأن نسبوا إلى المسيح الألوهية، هذا الاعتقاد الفاسد أخبر عنه القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } [المائدة:72]**.

وبعد: فلا نجاة لأهل الكتاب وغيرهم من النار بعد بعثة النبي-ﷺ- وبلوغهم دعوته إلا بالإيمان الكامل الذي أراده الله من مبتدئه إلى منتهاه، فمن أراد النجاة فليحقق أركان الإيمان التي أمر الله بها في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ**

(1) ينظر - ابن جزي، ***التسهيل لعلوم التنزيل***، (ج1/ ص158).
(2) رضا، ***تفسير القرآن الحكيم***، (ج3/ ص291).
(3) ينظر - رضا، ***تفسير القرآن الحكيم***، (ج3/ ص294).
(4) الزمخشري، **الكشاف**، (ج1/ ص583).

الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } [النساء:136].

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، أذكرُ أهمَّ النتائج التي تمَّ التوصُّلُ إليها، وهي على النحو الآتي:

أولًا: إن من أسباب إثارة الشبهات حول موقف القرآن من أهل الكتاب:

1- العداء للإسلام، ويظهر ذلك في استغلال بعض الألفاظ وتوظيف لمدلولاتها بعيدًا عن سياقها، وكذلك التمسك ببعض أقوال المفسرين والفقهاء التي توافق مرادهم مع إهمال الأقوال الأخرى التي تفضح مزاعمهم.

2- الجهل وعدم العلم، وذلك بتأويل النصوص الشرعية من غير فهم باللغة العربية التي نزل بها القرآن، وبقواعد التفسير، مع الجهل بمقاصد الشريعة الإسلامية، والجهل بالمنهجية العلمية في التعامل مع النصوص، وغياب الاستقراء للنصوص، وإغفال الوحدة الموضوعية والتناسب بين الآيات والسور.

ثانيًا: ما جاء في قوله تعالى: }إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون{ [المائدة:69] من ذكرٍ لهذه الطوائف بما فيها أهل الكتاب ليس على إطلاقه، بل هي وصف للطوائف التي كانت على شريعة أنبيائهم قبل مبعث النبي-ﷺ- من غير تبديل ولا تحريف، وقبل نسخها، ودل على هذا ما بينته آيات آل عمران: {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون(113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين} [آل عمران:113-114]، وهذه عادة القرآن في بيان موقف الفرقاء من الدعوة إليه وعدم غمط المؤمنين حقهم، ثم لإزالة اللبس المتوهم بأن الأولين والآخرين من بني إسرائيل سواء في إنكارهم الدعوة وتكذيبهم الأنبياء وقتلهم.

ثالثًا: قيدت الآيات الكريمة من سورة المائدة وكذلك سورة البقرة نجاة الأصناف الأربعة من بني إسرائيل بثلاثة قيود، الأول: الإيمان بالله تعالى، والثاني: الإيمان باليوم الآخر، الثالث: عمل الصالحات، ولا نعلم أحدًا من النصارى في وقتنا هذا لا يقول بالتثليث، بل ما يثبته النصارى أن التثليث هو ركن عقيدتهم ومن لم يقل به منهم فلا يعد نصرانيًا.

رابعًا: لا تعارض في القرآن في وصفه لأهل الكتاب، بل الإشكالية هي أنهم يجعلون نظرة القرآن الكريم لأهل الكتاب نظرة واحدة، هي محل حكم القرآن حكمًا واحدًا، لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان والشخوص، والحق إن لأهل الكتاب أحوال مختلفة منها ما كان قبل بعثة النبي-ﷺ-، ومنها ما كان بعده، وبحسب هذه الأحوال كان يذم ويمدح، فالذين آمنوا بأنبيائهم قبل مبعث النبي وماتوا على ذلك، وكذلك الذين آمنوا منهم بالنبي-ﷺ- بعد مبعثه، هؤلاء هم الذين مدحهم الله تعالى بوصفهم بالإيمان.

التوصيات:

توصي هذه الدراسة بما يأتي:

1- أن تكون هناك موسوعة علمية متخصصة للرد على الشبهات المتعلقة بموقف القرآن الكريم من غير المسلم وخاصة أهل الكتاب.

2- أن تخصص دراسات للرد على الشبهات المتعلقة بموقف السنة النبوية من أهل الكتاب لسد باب الشبهات بمصدري التشريع الإسلامي – القرآن الكريم والسنة النبوية-.

3- إنشاء قنوات فضائية للرد على مثيري الشبهات، تقابل القنوات الكثيرة المنتشرة في أرجاء العالم التي تثير الشبهات وتسيء للإسلام ونبي الإسلام -ﷺ-.

4- إعداد مجموعة من العلماء المختصين في الرد على الشبهات من حيث التخصص في موضوع الشبهات، وفن الرد والتفنيد.

5- اغتنام وسائل شبكات الاتصالات في إيصال الإسلام الحق إلى الناس جميعًا.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

أولًا: المراجع العربية:

1- الألباني، محمد ناصر الدين (المتوفى : 1420هـ)، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985م.

2- البخاري، محمد بن إسماعيل(ت:256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، ، دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

3- البقاعي، إبراهيم بن عمر (المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

4- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: 728هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن - وآخرون، دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، 1419هـ / 1999م.

5- ابن جزي، محمد بن أحمد (المتوفى: 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.

6- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)**زاد المسير**، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

7- الحافي، عامر إسماعيل، **نجاة أتباع الأديان في القرآن**، بحث محكم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 14، العدد1، 1439هـ-2018م.

8- ابن حنبل، أحمد بن محمد (المتوفى: 241هـ)، **مسند الإمام احمد بن حنبل**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995م.

9- أبو حيَّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (المتوفى: 745هـ)، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

10- الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد 1390هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي- القاهرة.

11- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (المتوفى: 606هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

12- رضا، **مجلة المنار**، المجلد13، العدد8- شعبان1328هـ.

13- رضا، محمد رشيد بن علي (المتوفى: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر : 1990 م.

14- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (المتوفى: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**،، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.

15- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1394هـ)، **زهرة التفاسير**، دار النشر: دار الفكر العربي.

16- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (المتوفى: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

17- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

18- سفر التثنية، **الإصحاح الثامن عشر**، آية:18.

19- السمرقندي ، نصر بن محمد بن أحمد (ت: 375هـ) ، **بحر العلوم** ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى – 1413هـ – 1993م.

20- الشافعي، محمد بن إدريس (المتوفى: 204هـ)، **الأم** ، دار المعرفة – بيروت، د.ط، سنة النشر 1410هـ-1990م .

21- صبح، عبد المجيد، **الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم**، دار المنارة – مصر ، الطبعة الثانية ، 2003م.

22- الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.

23- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر(المتوفى: 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984هـ.

24- ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (المتوفى: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

25- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الدين (المتوفى: 751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ – 1996م.

26- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (المتوفى: 774هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999م.

27- لوقا، القمص إبراهيم، **المسيحية في الإسلام**، Ricon-Switzerland، الطبعة الخامسة -1995م.

28- المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (المتوفى: 864هـ)، و السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ) **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

29- المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ – 1946م.

30- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** -ﷺ-، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

31- الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ،،تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

32- الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (المتوفى: 468هـ)، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ – 1992.

33- الوادِعِيُّ، مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ (المتوفى: 1422هـ)، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، 1408هـ- 1987م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din (died: 1420 AH), Irwa al-Ghalil in the graduation of the hadiths of Manar al-Sabil,(in Arabic)supervised by: Zuhair al-Shawish, Islamic Bureau - Beirut, edition: second 1405 AH - 1985 AD.
2- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (T.: 256 AH), Sahih Al-Bukhari, ,(in Arabic) investigation: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat, Edition: First, 1422 AH.
3- Al-Bagawi, Ibrahim bin Omar (deceased: 885 AH), organized Al-Durar in proportion to verses and surahs,(in Arabic), Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo.
4- Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim (died: 728 AH), the correct answer to those who changed the religion of Christ, ,(in Arabic) investigation: Ali bin Hassan - and others, Dar Al-Assimah, Saudi Arabia, Edition: Second, 1419 AH / 1999AD.
5- Ibn Juzy, Muhammad bin Ahmed (died: 741 AH), Al-Tashil for the Science of Downloading ,(in Arabic) achieved by: Dr. Abdullah Al-Khalidi, Dar Al-Arqam Ibn Abi Al-Arqam Company - Beirut, Edition: First - 1416 AH.
6- Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad (deceased: 597 AH) Zad al-Masir, ,(in Arabic) Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, first edition - 1422 AH.
7- Al-Hafi, Amer Ismail, The Salvation of the Followers of Religions in the Qur'an, ,(in Arabic) refereed research, The Jordanian Journal of Islamic Studies, Volume 14, Issue 1, 1439 AH-2018AD.
8- Ibn Hanbal, Ahmed bin Muhammad (died: 241 AH), Musnad of Imam Ahmad bin Hanbal, ,(in Arabic) investigation: Ahmed Muhammad Shaker, Dar al-Hadith - Cairo, Edition: First, 1416 AH - 1995 AD.
9- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf (died: 745 AH), Al-Bahr Al-Moheet, ,(in Arabic) investigation: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.
10- Al-Khatib, Abdul Karim Younis (died: after 1390 AH), the Qur'anic interpretation of the Qur'an(in Arabic), Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo.
11- Al-Razi, Muhammad bin Omar bin Al-Hassan (died: 606 AH), Keys to the Unseen, (in Arabic) House of Revival of Arab Heritage - Beirut, third edition - 1420 AH.
12- Reda, Al-Manar Magazine(in Arabic), Volume 13, Issue 8 - Sha'ban 1328 AH.
13- Reda, Muhammad Rashid bin Ali (died: 1354 AH), Interpretation of the Holy Qur'an (Interpretation of Al-Manar), (in Arabic) the Egyptian General Book Authority, year of publication: 1990 AD.
14- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr bin Ahmed (died: 538 AH), the discovery of the facts of the mysteries of the download, (in Arabic) Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, third edition - 1407 AH.
15- Abu Zahra, Muhammad bin Ahmed bin Mustafa (died: 1394 AH), Zahrat al-Tafsir, (in Arabic) Publishing House: Arab Thought House.
16- Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser (died: 1376 AH), Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Mannan, (in Arabic) investigation: Abdul Rahman bin Mualla Al-Luhaiq, Al-Risala Foundation, Edition: First 1420 AH -2000 AD.
17- Abu Al-Saud, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa (died: 982 AH), guiding the sound mind to the merits of the Holy Book, (in Arabic) House of Revival of Arab Heritage - Beirut.
18- Deuteronomy, (in Arabic) chapter eighteen, verse 18.
19- Al-Samarqandi, Nasr bin Muhammad bin Ahmed (died: 375 AH), Bahr al-Uloom, (in Arabic) investigated by Sheikh Ali Muhammad Moawad and others, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, first edition - 1413 AH - 1993 AD.
20- Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris (died: 204 AH), the mother, (in Arabic) Dar al-Maarifa - Beirut, d., year of publication 1410 AH-1990 AD.

21- Sobh, Abdul Majeed, The Beautiful Response to the Skeptics of Islam from the Qur’an, Torah(in Arabic), Gospel and Science, Dar Al-Manara - Egypt, second edition, 2003 AD.
22- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir (died: 310 AH), Jami’ al-Bayan fi Ta’wil al-Qur’an, (in Arabic) investigation: Ahmed Muhammad Shakir, Foundation for the Resala Edition: First Edition, 1420 AH - 2000 AD.
23- Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher (died: 1393 AH), Liberation and Enlightenment, (in Arabic) Tunisian Publishing House - Tunis, year of publication: 1984 AH.
24- Ibn Attia, Abd al-Haq ibn Ghalib ibn Abd al-Rahman (died: 542 AH), the brief editor in the interpretation of the dear book, (in Arabic) investigated by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First - 1422 AH.
25- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abi Bakr al-Din (died: 751 AH), the runways of those who walk between the homes of You we worship and You we seek help, (in Arabic) investigation: Muhammad al-Mu’tasim Billah al-Baghdadi, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, third edition, 1416 AH - 1996 AD.
26- Ibn Katheer, Ismail bin Omar (deceased: 774 AH), Interpretation of the Great Qur’an, (in Arabic) investigation: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Edition: Second 1420 AH - 1999 AD.
27- Luqa, Father Abraham, Christianity in Islam, (in Arabic) Ricon-Switzerland, Fifth Edition - 1995 AD.
28- Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa (died: 1371 AH), Interpretation of the Maraghi, (in Arabic) Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company in Egypt, Edition: First, 1365 AH - 1946 AD.
29- almahaliy, jalal aldiyn muhamad bin 'ahmad (almutawafaa: 864h), w alsuyuti, jalal aldiyn eabd alrahman bin 'abi bakr (almutawafaa: 911hi) tafsir aljalalin, (in Arabic) dar alhadith - alqahirati, altabeatu: al'uwlaa
30- Muslim, Ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Nisaburi (died: 261 AH), the abbreviated correct chain of transmission of justice from justice to the Messenger of God - PBUH-,(in Arabic) investigated by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, House of Revival of Arab Heritage - Beirut.
31- Al-Wahidi, Al-Wajeez fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz, (in Arabic) achieved by: Safwan Adnan Daoudi, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, Edition: First, 1415 AH.
32- Al-Wahidi, Ali bin Ahmed bin Muhammad (died: 468 AH), the reasons for the revelation of the Qur’an, (in Arabic) investigation: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dar Al-Islah - Dammam, Edition: Second, 1412 AH - 1992.
33- Al-Wahidi, Muqbil bin Hadi bin Muqbil (deceased: 1422 AH), the Sahih Al-Musnad Min Asbab al-Nuzul, (in Arabic) Ibn Taymiyyah Library - Cairo, Fourth Edition: Added and Revised, 1408 AH - 1987AD.